



حين نتحدث عن مشاهد يوم القيمة فنحن نتحدث عن أهم وأخطر المواقف التي سيتعرض لها الإنسان لا محالة ، إذ إن عاقبة هذه المواقف والمشاهد دائمة أبدية ، والحكم الذي يُقضى به على أحدهم حكم نهائي غير قابل للطعن أو الاستئناف ، والمصير في آخر المطاف إما إلى جنة وإما إلى نار – والعياذ بالله – .

لا إمكانية هناك للتحايل أو الكذب أو التناصل من الأفعال والتملص من المسؤوليات ، فالشاهد عليك وعلى أفعالك هم جوارحك و حواسك قال تعالى : { يَوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النور/24 ، ولا مجال يومئذ لأن يتدخل أحد لإنقاذه إلا عملك الصالح الموافق لشرع الله والخاص لوجهه سبحانه .

موقفان اثنان ومشهدان فقط من مشاهد يوم القيمة بما نطاق الحديث في هذا المقال تم اختيارهما لكونهما مما يمكن أن يشهدهما أو أحدهما بعض الموحدين ويتجزء مرارة جزائهما وعقابهما أحد المسلمين .

أما المشهد الأول فيجسده قوله تعالى : { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُرًا } الفرقان/23 والآية وإن كانت تتحدث في سياقها عن الذين لا يرجون لقاء الله تعالى من المشركين وغيرهم كما ذكر ابن كثير في تفسيره إذا قال : أخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال – التي ظنوا أنها منجا لهم – شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص

فيها وإنما المتابعة لشرع الله . فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية ، فهو باطل . فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين ، وقد تجمعهما معا ، فنكون أبعد من القبول حينئذ

إلا أن ذلك لا يعني نفي فقدان الإخلاص أو الواقع في إثم الرياء و الشرك الأصغر عن بعض الموحدين وقد وردت الكثير من الأحاديث التي تحذر أبناء الأمة من مغبة وأثار الرياء يوم القيمة ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمة فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قبل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به ، فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمه وقرأ في القرآن ، قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأ القرآن ليقال هوقاريء ، فقد قبل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفق فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قبل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقى في النار) .

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم : (إن أخواف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا يا رسول الله : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء . إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجاري العياد ب أعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترعاون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) مسند الإمام أحمد وصححه الألباني .

يا له من موقف عظيم وعصيب وياله من ثمن فادح يدفعه المرائي يوم القيمة ، ويالها من صدمة يتلقاها ذاك الذي تلوث بالشرك الأصغر الذي حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إذ يتفاجأ بذهاب أعماله أدراج الرياح وكأنها الهباء المنثور لفقدانها ركن الإخلاص في الوقت الذي كان يظن أنها ستغنى عنه يوم القيمة شيئا .

المشهد الثاني يصوّره قوله سبحانه : { قُلْ هَلْ نَنْبَكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } الكهف 103-104

والآية وإن ورد أنها نزلت في اليهود والنصارى كما روى البخاري عن مصعب قال : سألت أبيا " قل هل ننبكم بالأخسرین أعمالا " أهم الحرورة ؟ قال : لا ; هم اليهود والنصارى إلا أنها تعم غيرهم كما قال ابن كثير : هي - أي الآية - عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود .

كما أن الثابت في دين الله الإسلام أن من شرط قبول العمل أن يكون خالصا لله قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ... } البينة 5 وأن يكون موافقا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ففي

الحاديـث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) متفق
عليه

قال الفضيل بن عياض في تفسير العمل الحسن الوارد في قوله تعالى : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ... } الملك/2 : أخلصه وأصوبه فقيل له : ما أخلصه وأصوبه؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة . تفسير البغوي 4/369

إن بيان عاقبة الخروج عن منهج الله وتوضيح جزاء عدم متابعة ما شرع الله تعالى لعباده وتحذير الموحدين من مغبة الابتداع في دين الله هو من أوجب ما ينبغي أن يقوم به الدعاة والعلماء في هذا العصر الذي كثرت فيه البدع وانتشرت واتسع خرق عدم التزام سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالحة على الواقع .

المصادر:

المسلم